فأطلق لفظة لتدلّ على «الحمار»، و «الأسد»، و «الجراد»... الخ... ثم تطوّرت اللغة بتطوّر أصحابها، وارتقت بارتقائهم، بعدما امتلكوا الوسائل العقلية والمادية التي تمكنهم من التمييز... ثم جاءت الحاجة المفجّرة لعبقريتهم، فصنّفوا الحيوانات وميّزوا مؤنثها من مذكرها بلفظة للمذكر، وبأخرى للمؤنث، فأطلقوا، في البدء، كلمة «إنسان» على الرجل والمرأة، وكلمة «بعير» على الجمل والناقة، ثم قالوا في مرحلة ثانية بعير: للذكر (وبقيت الكلمة تحتفظ بدلالتها على المؤنث)، وناقة للأنثى، ثم جمل: للذكر... كما اطلقوا، ربّما من قبل، كلمة رجل على الذكر، وامرأة على الأنثى، ثم ارتقوا، في مرحلة ثالثة، إلى التمييز بين المذكر والمؤنث بمميز، فقالوا: بعير: للذكر، وبعيرة: للأنثى، بعدما قالوا: إنسان وإنسانة، رجل ورجلة، امرأة وامرأة، زوج وزوجة، شيخ وشيخة، عجوز وعجوزة... الخ...

ويرى الباحث أنّ اللغة العربية قد سلكت منهجين متقابلين لتأدية غرض واحد، وهو استعمال المميز، وللتفريق لغوياً بين المؤنّث والمذكر، بعدما لجأت إلى وضع لفظة للمذكر وأخرى للمؤنّث..

المنهج الأول: السير من التذكير إلى التأنيث، كقولهم: رجل ورجلة، غلام وغلامة، زوج وزوجة... الخ.